

مسائل الرسم القرآني في كتب التفسير
تفسير الطبري نموذجا

د . رجب فرح أبو دقاقة

رئيس قسم القراءات بكلية علوم الشريعة

جامعة المرقب بالخميس

البريد الإلكتروني: rajdgag@gmail.com

المُلخَص

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا، خلق الإنسان، علمه البيان، والصلاة والسلام على معلّم هذه الأمة، ومنقذها من الضلال، وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد:

فإن البحث في أهمية الحرف العربي والعناية بخط المصحف الشريف يكتسي أهمية بالغة، وذلك بالوقوف على طبيعة العلاقة بين المقروء والمكتوب، والمرسوم والمنطوق من القرآن وقراءاته، وهي العلاقة التي تظهر أهميتها في أن كثيرا من أوجه القراءة وأحكامها لا يمكن أن تُؤدَّى حق الأداء إلا بمعرفة هجاء المصحف وهيئات أوضاع حروفه وكلماته وصلاً وقطعاً، وإثباتاً وحذفاً، ويكفيك من هذا أن تعرف أن من معايير تشذيب القراءة أن تخرج عن مرسوم المصحف، وتتنكر لرسمه، فلا يمكن بعدها أصلاً أن توصف بالقرآنية، ولا أن تقع تحت التعبد لأن موافقة الرسم شرط لقبول القراءة عند أهل العلم.

وينبغي التأكيد بأن معرفة الخط ورسم الحروف من أنفع العلوم وأكثرها أهمية، لأنه السبيل إلى فهم العلوم وشيوعها، والوسيلة المثلى لحفظ الأفكار من الضياع والاندثار، والأساس الذي يقوم عليه التعامل مع أنشطة اللغة بثقة واطمئنان، بل هو الصورة المحسوسة المدركة على الورق لما يدور في الدهن

من أفكار ومعان لا يدركها الحس لولا الكتابة.

وبما أن الكتابة كانت وما زالت وستظل الأساس المشترك في كل المعارف والعلوم باعتبارها وعاء الفكر، وآلة الفهم، والصور المحسوسة للغة الإنسانية، فإن هذه الأسباب مجتمعة قد دفعت العرب للعناية بالكتابة والتدوين، وشجعهم ذلك على الاهتمام بقواعد الخط وأصول الرسم والكتابة منذ بدء نزول القرآن الكريم على نبي هذه الأمة محمد ﷺ وبخاصة أن أولى آياته كانت تأمر بالقراءة، وتحث على الكتابة، حيث قال جَلَّ جَلَالُهُ في كتابه: ﴿قُرْأَ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٥﴾ أَلَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿١﴾﴾⁽¹⁾ فكان الرسول ﷺ يأمر أصحابه بكتابة ما ينزل من القرآن في الأحجار والجلود وغيرها.

وهذا الأمر يدفعنا للبحث في مسائل رسم القرآن، وضبط قواعده من خلال المصادر التي قعدت لهذا العلم، وأشهر ما وصل إلينا منها ما دونه الداني (ت: 444هـ) وتلاميذه من بعده، وهذا لا يعني أن كتب العلوم الأخرى لم تتناول قضايا الرسم القرآني، بل إن عديد كتب اللغة وعلوم القرآن قد تناولت هذا الموضوع من أهمها كتب التفسير، التي اخترت منها تفسير الطبري نموذجاً.

والباحث قد تخير الكتابة في المحور الثاني، حيث سيتناول على وجه الخصوص: مجالات علم الرسم وأنواعه وأهم مصادره، كما يتعرض الباحث

(1) العلق: (3-4).

إلى علاقة الرسم بعلم التفسير ومدى تناول المفسرين لضوابط الرسم، وعلى الخصوص: منهج الطبري في تناول الرسم القرآني، وأهم مصطلحاته في ذلك، كما تشير الورقة إلى بعض المآخذ حول منهجية الطبري في تناول بعض قضايا الرسم القرآني، وتختتم بجملته من النتائج والتوصيات.

المقدمة

الحمد لله الذي عَلَّمَ بالقلم عِلْمَ الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على النبي العربي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد:

فإنه من الأولويات التي تتعلق بها هِمَّةُ الإنسان منذ وجوده، وتتطلع إليها نفسه هي البحث عن المعرفة، وطلب العِلْمِ بشتى الطرق والوسائل، ووسائل المعرفة متعددة، من أهمها تَعَلُّمُ الكتابة والخط والتدوين، وقد حظيت وسائل الكتابة المتمثلة في القرطاس والقلم أهمية بالغة في تاريخ العرب وتراثهم، وبالرغم من نعت هذه الأمة بالجاهلية في مرحلة من تاريخها فإن ذلك لم يكن بالمطلق، بدليل أن العربي كان يعد القرطاس والقلم من المفاخر التي يعتز بها، ويشدو بها في شعره مع بقية الأوصاف التي تكتمل بها قوته وهيبته، ومن ذلك قول الشاعر العربي (1):

(1) الشاعر: أبو الطيب المتنبي الكندي، عاش في بلاط سيف الدولة، وكان غزير الإنتاج، أفضل شعره في الحكمة وفلسفة الحياة، وسبب مقتله أنه كان قد هجا ضبة الأسد بقصيدة مطلعها:

ما أنصف اليوم ضبَّه وأمه الطُّرْطُبَّه

فلقيه خال ضبه فتقاتلا، وحين حاول الهرب قال له غلامه: اتهرب وأنت القائل: الخل والليل والبيداء تعرفني... فقال:

قتلتنى قتلك الله، فصمد في الميدان حتى قتل، وذلك عام 354هـ.
ينظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة، والبيت في ديوانه.

الخيال والليل والبيداء تعرفني

والسيف والرمح والقرطاس والقلم

وهذا يعني أن العرب قد عرفت الكتابة في جاهليتها، وعَدَّتْهَا شَرْطًا
لكمال الرجولة مثل معرفة السباحة وركوب الخيل، وتعود معرفتهم بالكتابة
إلى اتصالهم بالأمم المتحضرة في بلاد اليمن، وتخوم الشام، فأنشؤوا ممالكهم
على أطراف تلك البلاد، وكانت مملكة النبط إحدى هذه الممالك التي قامت
على أطراف بلاد الشام في الناحية الشمالية الغربية من شبه الجزيرة العربية
(169ق.م - 106ق.م)، كما كانت لهم صلاة بالآراميين، فتأثروا بهم، وتحدثوا
بلغتهم، واستنبطوا لأنفسهم خَطًّا خاصًا بهم عرف بالخط النبطي اشتق منه
عرب الشمال خطهم الأول، فعرف بالخط الأنباري، والخط الحِيرِي، أو
الخط المدور، والخط المثلث⁽¹⁾.

وبعد البعثة النبوية كتب الصحابة رضوان الله عليهم الوحي بالخط
السائد بالحجاز آنذاك والمعروف بـ(الجَزْم)، وهو مأخوذ من الخط الأنباري
أو الحِيرِي، وكذلك كتبت به صحف أبي بكر ومصاحف عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

أهمية البحث وأسباب اختياره:

البحث في أهمية الحرف العربي والعناية بخط المصحف الشريف
يكتسي أهمية بالغة وذلك بالوقوف على طبيعة العلاقة بين المقروء

(1) محمد طاهر الكردي: تاريخ الخط العربي وآدابه (ص: 73-74).

والمكتوب، والمرسوم والمنطوق من القرآن وقراءاته، وهي العلاقة التي تظهر أهميتها في أن كثيراً من أوجه القراءة وأحكامها لا يمكن أن تُؤدَّى حق الأداء إلا بمعرفة هجاء المصحف، وهيئات أوضاع حروفه وكلماته وصللاً وقطعاً، وإثباتاً وحذفاً، ويكفيك من هذا أن تعرف أن من معايير تشييد القراءة أن تخرج عن مرسوم المصحف، وتتنكر لرسمه فلا يمكن بعدها أصلاً أن توصف بالقرآنية ولا أن تقع تحت التعبد؛ لأن موافقة الرسم شرط لقبول القراءة عند أهل العلم.

وينبغي التأكيد بأن معرفة الخط ورسم الحروف من أنفع العلوم وأكثرها أهمية؛ لأنه السبيل إلى فهم العلوم وشيوعها، والوسيلة المثلى لحفظ الأفكار من الضياع والاندثار، والأساس الذي يقوم عليه التعامل مع أنشطة اللغة بثقة واطمئنان، بل هو الصورة المحسوسة المدركة على الورق لما يدور في الدهن من أفكار ومعان لا يدركها الحس لولا الكتابة.

وبما أن الكتابة كانت وما زالت وستظل الأساس المشترك في كل المعارف والعلوم باعتبارها وعاء الفكر، وآلة الفهم، والصور المحسوسة للغة الإنسانية، فإن هذه الأسباب مجتمعة قد دفعت العرب للعناية بالكتابة والتدوين، وشجعهم ذلك على الاهتمام بقواعد الخط وأصول الرسم والكتابة منذ بدء نزول القرآن الكريم على نبي هذه الأمة محمد ﷺ، وبخاصة أن أولى آياته كانت تأمر بالقراءة، وتحث على الكتابة حيث قال جَلَّ جَلَالُهُ في كتابه: ﴿قُرْأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾﴾ ويتميز خط المصحف ورسمه

بضوابط تختلف عما درجت عليه قواعد الإملاء في الرسم القياسي، وهو ما تناوله الكتاب في مؤلفاتهم من بينهم علماء التفسير.

الدراسات السابقة:

كان ديدن الأمة ولا يزال البحث في أصول الخط ونشأة الكتابة عند العرب ومصدر تعلمها، والمراحل التي مرت بها، وبالتالي الكتب التي اهتمت بالرسم القرآني ومنها كتب التفسير حيث كانت الدراسات تترى عند القدماء والمحدثين، فكتب الأوائل موضوعات ضمن كتب اللغة والأدب، وعلم القراءات وأصول الرسم وقواعد الضبط من بينها ما كتبه: ابن جني، والقلقشندي، والسيوطي، والداني، وابن قتيبة، والصولي وغيرهم، كما وجدنا من ألف كتباً مستقلة في موضوع الخط والإملاء والرسم عموماً منها: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، والمقنع في رسم المصاحف، وتاريخ الخط العربي وآدابه، وفن الخط العربي وتطوره، وقصة النقط والشكل في المصحف، ومعجم مصطلحات الخط العربي، والمفرد العلم في رسم القلم وغيرها. لكنها في المجمل لم تتناول بالبحث والتحليل والاستقراء ما تضمنته كتب التفسير فيما يتعلق بأصول الرسم القرآني وقواعده الأساس، وهو موضوع هذه الورقة.

إشكالية البحث:

رسم الحرف وضبطه في الكلمة يحتاج إلى إتقان؛ لأنه الوسيلة لفهم ما كتب، والرسم القرآني له قواعده التي تضبطه، لذلك اجتهد العلماء في تدوين

هذه القواعد، وتكمن إشكالية البحث في الإجابة على جملة من الأسئلة من بينها: ما أهمية الرسم، وما أنواعه وما أبرز قضاياها ومسائله؟ وكيف تناوله العلماء في مؤلفاتهم وبخاصة المتعلقة بعلوم القرآن، وما علاقة علم التفسير بالرسم؟ وكيف تناول المفسرون المسائل المتعلقة بالرسم القرآني، ومن أشهر من تناول ذلك من المفسرين، وكيف تم تأصيل مسائل الرسم، وما الذي ترتب على ذلك في القراءة والمعنى؟

منهجية البحث وخطته:

القرآن الكريم كلام الله المعجز، لا تنقضي عجائبه، ولا تنتهي فوائده، تعددت سورته وآياته، وتنوعت حكمه وأدابه، فكانت معانيه شاملة، ومقاصده ومراميه لا تحصى، وتأويلات ألفاظه وتراكيبه لا تنتهي، ومن هنا تعددت علومه التي ألف فيها العلماء المصنفات والكتب المتنوعة، كان في مقدمتها علم التفسير الذي يعده العلماء أم علوم القرآن، وإذا كانت العلوم تُشرف بما تنسب إليه، فقد عد التفسير من أشرف العلوم لتعلقه بكتاب الله تعالى.

وفي هذا البحث كان التوجه إلى إبراز جهود المفسرين في تناول علم الرسم القرآني، والحديث عن أسسه وضوابطه باعتباره أحد علوم القرآن الكريم التي خصت بالتأليف والدراسة، وتقعيد القواعد، بل هو العلم الذي حفظ لنا نصوص القرآن وحافظ عليها مدونة وفق ما كتب في المصاحف التي جمعت في عهد عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وأُرسلت إلى الأمصار، فكانت

مصدراً يؤمُّها الناس للاطلاع والمراجعة والنسخ عنها، ومن هنا صارت هذه المصاحف المصدر الأساس للرسم القرآني، قُعدت حولها القواعد، ووضعت الضوابط، وتناولها العلماء في مصنفاتهم وبحوثهم وفي هذه الورقة أحاول إبراز جهود علماء التفسير في مجال الرسم القرآني وطرق تناولهم لهذا الفن، خصوصاً ما تميز به الإمام الطبري في تفسيره، ويشتمل البحث بعد التمهيدي على مبحثين:

المبحث الأول: التعريف بعلم الرسم ومجالاته وأنواعه ومصادره.

المبحث الثاني: الإمام الطبري وقضايا الرسم في تفسيره.

بالإضافة إلى الخاتمة التي تتضمن أهم النتائج والتوصيات

المبحث الأول

التعريف بعلم الرسم ومجالاته وأنواعه ومصادره.

معنى التفسير:

التفسير مأخوذ من الفسر وهو البيان والتوضيح، يقال: «فسر الشيء يفسره بالكسر، ويفسره بالضم فسراً، وفسره أبانه»⁽¹⁾ فهو يستعمل في الكشف والإظهار للمعاني المعقولة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾⁽²⁾ أي: أحسن بياناً وتفصيلاً وظهوراً في معناه⁽³⁾، ولم يرد في القرآن لفظ «تفسير» في غير هذه الآية، ومن تعريفات التفسير التي ذكرها العلماء أنه: علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن الكريم ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب، وتتمت ذلك⁽⁴⁾.

ولأن الله تعالى قد أمرنا بتدبر القرآن وفهم آياته، والعمل بما فيه من تكاليف، والاهتداء بما ترشد إليه من توجيهات، ونعى على أولئك الذين

(1) ابن منظور: لسان العرب (5/ 55).

(2) الفرقان: (33).

(3) ينظر: أبي البقاء أيوب الكفوي: الكليات، تحقيق عدنان درويش (ص: 260).

(4) ذكر هذا التعريف أبو حيان الأندلسي وهو الذي ارتضاه ونقله صاحب الكليات (ص: 260).

يتقاعسون عن تدبر آياته فقال: لم اتحدث معه⁽¹⁾. لذلك فقد كانت جهود علماء الأمة تتوالى على فهم الآيات واستنباط الأحكام منذ أن دعا الرسول ﷺ لابن عمه عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمُ بقوله: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل».

والمؤرخون لعلم التفسير يذكرون أن عهد بني أمية عصر التدوين كان بداية ظهور علم التفسير، حيث قام بعض التابعين خلال المائة الثانية بتفسير القرآن الكريم على رأسهم: شعبة بن الحجاج: (ت: 160هـ)، وسفيان بن عيينة: (ت: 168هـ)، وفي القرن الثالث ألف علي بن المديني (ت: 234هـ) شيخ الإمام البخاري في (أسباب النزول)، وألف أبو عبيد (ت: 224هـ) في (الناسخ والمنسوخ)، أما أقدم التفاسير التي وصلتنا متكاملة فهو تفسير الإمام الطبري المتوفى سنة: 310هـ المسمى: (جامع البيان في تأويل آي القرآن) وهو التفسير الذي ضم مجموعة من علوم القرآن من بينها ما يتعلق بعلم الرسم القرآني، بل إن بعض الباحثين قد عدوا تفسير الطبري وثيقة هامة في التأريخ لعلم الرسم القرآني وتطوره، وتقعيد قواعده.

(1) القتال: (24).

التعريف بعلم الرسم:

الرسم: بمعنى المرسوم وهو في اللغة الأثر، وقيل بقية الأثر⁽¹⁾ قال ابن دريد⁽²⁾: «رسم كل شيء أثره»⁽³⁾ ويرادف الرسم: الخط، والكتابة، والزبر، والسطر، والرقم، والرشم بالشين المعجمة وإن غلب الرسم بالسین المهملة على خط المصاحف⁽⁴⁾، قال الحطيئة⁽⁵⁾:

أَمِنْ رَسْمٍ دَارٍ مَرْبَعٌ وَمَصِيفٌ

لِعَيْنِكَ مِنْ مَاءِ الشُّؤْنِ وَكَيْفٌ⁽⁶⁾

قال الفيروز أبادي⁽⁷⁾: «رَسَمَ الْغَيْثُ الدِّيَارَ: عَفَاها وَأَبْقَى أَثَرَهَا لِأَصْقًا

بِالْأَرْضِ»⁽⁸⁾.

(1) لسان العرب (241 / 12)

(2) هو: محمد بن الحسن بن دريد الإزدي، من أئمة اللغة والأدب، من آثاره: الجمهرة، والاشتقاق، والمجتبى وغيرها، (ت: 321هـ). ابن خلكان: وفيات الأعيان (1/497).

(3) ينظر: جمهرة اللغة (2/336).

(4) المرغني: ينظر: دليل الحيران (ص: 25).

(5) هو: جرول بن أوس بن مالك العبسي، شاعر مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، لم يسلم أحد من هجائه، أكثر من هجاء الزبرقان بن بدر فشكاه إلى عمر بن الخطاب فسجنه عمر، فاستعطفه بأبيات فأخرجه من السجن ونهاه عن هجاء المسلمين، (ت: 45هـ).

ابن قتيبة: الشعر والشعراء (ص: 110).

(6) ديوان الحطيئة (ص: 166).

(7) هو: محمد بن يعقوب أبو طاهر الشيرازي، من أئمة اللغة والأدب، ولي القضاء في زيد، وكان مرجع عصره في اللغة والتفسير والحديث، أشهر كتبه: القاموس المحيط، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، (ت: 817هـ).

السخاوي: الضوء اللامع (10/79).

(8) القاموس المحيط (4/168-169).

وقال امرؤ القيس⁽¹⁾:

قَفَا نَبِكِ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَعِرْفَانٍ

وَرَسَمِ عَفَتْ آيَاتُهُ مِنْذُ أَرْمَانٍ⁽²⁾

وجمع رسم: أرسم ورسوم وهما مطردان: الأول في القلة وهو على وزن «أفعل» والثاني في الكثرة وهو على وزن فُعول.

والرسم في الاصطلاح قسمان: قياسي واصطلاحي:

فالقياسي هو: تصوير الكلمة بحروف هجائها على تقدير الابتداء بها، والوقوف عليها، وعرفه ابن الحاجب⁽³⁾ بأنه: «تصوير اللفظ بحروف هجائه»⁽⁴⁾. أما ابن خلدون⁽⁵⁾ فيرى أنه: «رسوم وأشكال حرفية تدل على

(1) هو: امرؤ القيس بن حجر الكندي، من بني آكلي المرار، يمني الأصل، من أشهر شعراء العرب، وأحد أصحاب المعلقات، (ت: 80 ق.ه).

الجمحي: طبقات فحول الشعراء (1/ 51).

(2) القاموس المحيط (4/ 168-169).

(3) هو: أبو عمر عثمان بن الحاجب، وينعت بالجمال المالكي النحوي، الفقيه، قرأ القراءات وبرع في النحو والأصول، من آثاره: الشافية في التصريف، والمفصل، والأمالي، (ت: 647ه).

ابن كثير: البداية والنهاية (13/ 176).

(4) ابن الحاجب: الشافية (ص: 138).

(5) هو: أبو زيد عبد الرحمن محمد بن خلدون الإشبيلي، الفيلسوف، العالم الاجتماعي، له مؤلفات عدة أشهرها: العبر وديوان المبتدأ والخبر، وشفاء السائل لتهديب المسائل (ت: 808ه).

الضوء اللامع (4/ 145).

الكلمات المسموعة الدالة على ما في النفس»⁽¹⁾ وهذا الذي اصطلح أهل الفن على تسميته بالرسم القياس، أو الإملائي.

أما الرسم الاصطلاحي فهو: **عِلْمٌ تُعْرَفُ بِهِ مَخَالَفَاتُ خَطِّ الْمَصَاحِفِ الْعُثْمَانِيَةِ لِأَصُولِ الرَّسْمِ الْقِيَاسِيِّ**⁽²⁾، وسمي بذلك نسبة لاصطلاح الصحابة رضوان الله عليهم ويقال: العثماني نسبة إلى المصاحف التي نسخها عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ووزعها على الأمصار قال ابن الجزري⁽³⁾: «واعلم أن المراد بالخط الكتابة، وهي على قسمين: قياسي واصطلاحي، فالقياسي ما طابق فيه الخط اللفظ، والاصطلاحي ما خالفه بزيادة، أو حذف، أو بدل، أو وصل أو فصل»⁽⁴⁾. وهذا يعني أن الرسم القرآني يمثل نظامًا إملائيًا مستقلًا، ونمطًا هجائيًا خاصًا لا يجوز أن يقاس عليه، إذ هو موقوف على المصحف لا ينبغي أن يتعداه، وهو ما تؤكد أقوال علماء اللغة وغيرهم، يقول ابن درستويه⁽⁵⁾:

(1) مقدمة ابن خلدون (ص: 417).

(2) الضباع: سمير الطالبين (ص: 20).

(3) هو: أبو الخير محمد بن محمد بن الجزري، حافظ، متقن، قارئ، مجيد، من مؤلفاته: النشر في القراءات العشر، وطيبة النشر، وتحرير التيسير (ت: 855هـ).
غاية النهاية (2/ 251).

(4) النشر في القراءات العشر (2/ 128).

(5) هو: أبو محمد عبد الله بن المرزبان، كان راويًا للحديث، عالما بالنحو، يتبع المدرسة البصرية في النحو واللغة، له تصانيف في غاية الجودة منها: تفسير كتاب الجرمي، والإرشاد في النحو، وشرح الفصيح، والرد على الفراء وغيرها، (ت: 347هـ).
ابن خلكان: وفيات الأعيان.

«خطان لا يقاس عليهما: خط المصحف، وخط تقطيع العروض»⁽¹⁾ ويؤكد هذا المعنى الملا علي القاري⁽²⁾ بقوله: «ومن المعلوم أن خطين لا يقاس عليهما: خط العروض، وخط المصحف، وإنما يتبع الرسم القرآني تبعاً وتبركاً، واقتداءً بالصحابة كتابة أو قراءة»⁽³⁾.

وأورد الزركشي نقلاً عن أبي البقاء العكبري في اللباب قوله: «ذهب جماعة من أهل اللغة إلى كتابة الكلمة على لفظها إلا خط المصحف فإنهم اتبعوا في ذلك ما وجدوه في الإمام»⁽⁴⁾.

فالمقصود بالرسم القياسي: قواعده المقررة فيه، أما موضوع الرسم الاصطلاحي فهو: حروف المصاحف العثمانية من حيث: الحذف، والإثبات، والزيادة، والفصل، والوصل ونحو ذلك. أما واضعه الرسم الاصطلاحي فهم الصحابة رضوان الله عليهم بتوقيف من النبي ﷺ وإقراره، لحكم وأسرار تشهد لهم بالفضل والفخار في هذا المضممار⁽⁵⁾، ولا التفات لما ذكره بعضهم كابن خلدون من رميه للصحابة بعدم معرفتهم بصناعة الخط، وعدم إجادتهم لفن الرسم⁽⁶⁾.

-
- (1) ابن درستويه: كتاب الكتاب (ص: 7). وينظر: الزركشي: البرهان في علوم القرآن (1/376).
- (2) هو: الملا علي بن سلطان الهروي القاري، من آثاره: الدقائق المحكمة في شرح المقدمة، (ت: 1014هـ).
- (3) الملا علي القاري: المنح الفكرية (ص: 68).
- (4) البرهان في علوم القرآن (1/176).
- (5) ينظر: زيدان سلامة: تاريخ المصحف فن ضبطه ورسمه، الطبعة الأولى 1998م، عمان (ص: 25).
- (6) ينظر المقدمة لابن خلدون دار الهلال بيروت 1983م (ص: 332).

ويمكن القول: أن الأصل في الكتابة العربية أن يكتب اللفظ بحروف تتفق مع النطق بحيث يكون المكتوب موافقا للمنطوق من غير زيادة أو نقصان، إلا أننا نجد في رسم المصحف ما يخالف هذا الأصل في كثير من الألفاظ، وفيه حروف كثيرة تختلف مع النطق: بالحذف، أو الزيادة، أو إبدال حرف في الرسم عن الحرف المنطوق، كما نجد في المصحف رسوما وصوراً تختلف عما أَلْفَ الناس في الخط المعتاد والموائم للنطق.

لذلك اتجه كثير من العلماء إلى دراسة هذه الظاهرة القرآنية وأولوها اهتماماً بالغاً، فاستنبطوا بالاستقراء مبادئ الرسم، وقعدوا له القواعد، وأصلوا له الأصول، وحصروا تلك الكلمات التي جاء خطها مخالفاً للفظها، كما قارنوا بين المصاحف العثمانية التي نسخت في عهد عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: 35هـ) فذكروا أوجه الاتفاق بينها وأوجه الاختلاف، وعللوا لذلك بعلة، قد تتصل بضبط الحركات، أو باختلاف أوجه القراءات، وعلى هذا يمكن تعريف الرسم العثماني (الاصطلاحي) بأنه: عِلْمٌ يبحث فيه عن كيفية كتابة كلمات القرآن الكريم وحروفه في المصاحف العثمانية كما كتبها الصحابة رضوان الله عليهم بإيعاز من الخليفة عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ⁽¹⁾، والأصل في المكتوب أن يكون مطابقاً تمام المطابقة للمنطوق من غير زيادة ولا نقصان، لكن المصاحف العثمانية خالفت هذا الأصل، ووجد بها حروف كثيرة على غير قياس.

(1) ينظر: إبراز المعاني (2/206) ومناهل العرفان (1/369).

ومن خلال تتبع العلماء واستقراءهم لما خالفت فيه الألفاظ القرآنية

الرسم القياسي تبين حصر ذلك في سبعة أمور وهي:

[1] الحذف في نحو: ﴿أَلَمْ تَلِكْ أَلِكْتَبْ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾⁽¹⁾.
 كما تحذف الألف بعد ياء النداء نحو: (يَأَدْمُ، يَايَهَا) وهاء التنبيه (هَأْتُمْ)
 و(الرَّحْمَنُ.. سُبْحَنَ..) إلا قوله تعالى: (قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي) في سورة الإسراء. ومن
 جمع المذكر والمؤنث مع بعض الاستثناءات، والياء من المنقوص المنون رفعا
 وجرا (بَاغٍ وَدَاعٍ) ونحو: (وَأَطِيعُونَ.. وَخَافُونَ) مع استثناءات مثل: (واخشوني)
 بالبقرة، وتحذف الواو مع واو أخرى نحو: (دَاوُدُ.. الْمَوْءِدَةُ).

[2] الزيادة نحو⁽²⁾: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا وُضِعُوا خِلَالَكُمْ
 يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّعُونَ لَهُمُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ و(مِائَةٌ.. الرَّسُولَا).
 [3] القطع نحو⁽³⁾: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ
 يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي ءَامِنًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
 بَصِيرٌ﴾ وأخواتها (كُلُّ مَا أَنْ لَا).

[4] الوصل: نحو⁽⁴⁾: ﴿وَأَنْ إِسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا
 حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ
 عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾.

(1) البقرة: (1).

(2) التوبة: (47).

(3) فصلت: (39).

(4) هود: (2).

[5] الهمز الساكن بحركة ما قبله نحو: ﴿وَرِئِيَا﴾ والمتحرك إن كان أولاً أو اتصل به حرف زائد كتب بألف مطلقاً نحو: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ إلا: (أَنْتُمْ. أَيْدَا لَيْنٌ، أَوْ نَبِّئُكُمْ) وغيرها، وإن كان متوسطاً فبحرف حركة ما قبله نحو: (بِئْسَ، بَدَأً) إلا: (تَفْتُوا... يَتَفَيُّوْا) ونحو: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوْا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّى مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾⁽¹⁾.

[6] البدل: تبدل الألف واوا في لفظ الصلاة وأحواتها، نحو: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾⁽²⁾، وترسم الياء بدل الألف في نحو: (يَتَوَفَّيْكُمْ).

[7] ما فيه قراءتان فكتب على أحدهما نحو: (مَالِكٍ.. مَلِكٍ).. يُخَادِعُونَ.. يَخْدَعُونَ. تَفَادُوهُمْ.. تَفْدُوهُمْ.. وقراءة الإفراد والجمع فيما اختلف فيه القراء كما في قوله: ﴿قَالَ يَمُوسَىٰ إِنَّي إِصْطَفَيْتَكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمَةٍ فَخُذْ مَا آتَيْتَكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾⁽³⁾. وفي الجدول التالي بيان للخلاف، وتوضيح للفروق بين الرسمين: الاصطلاحي (العثماني)، والقياسي (الإملائي):

(1) يوسف: (110).

(2) البقرة: (2).

(3) الأعراف: (144)، وقد قرأ (رسالتي) بالإفراد المدينيان والمكي وروح، وقرأها بالجمع

(رسالاتي) الباؤون، لكنها كتبت في المصحف على قراءة الافراد، ينظر: عبد الفتاح القاضي:

البدور الزاهرة (1/295).

وجه المخالفة بينهما	الرسم الإملائي	الرسم العثماني
حذف الألف	سبحان - السلام	سُبْحَانَ، السَّلَامِ (1)
حذف الألف من العدد	ثلاث ورباع - ثلاثين	ثَلَاثٌ وَرُبْعٌ - ثَلَاثِينَ
حذف ياء المتكلم من الفعل	فاتقوني - فأطيعوني	فَاتَقُونِ - فَأَطِيعُونِ
حذف الواو اكتفاء بأحد المثليين	لا يستوون - الغاؤون	لَا يَسْتَوُونَ - الْغَاوُونَ
حذف الواو من الفعل للدلالة على معنى مناسب	ويدعو - سندعو - ويمحو	وَيَدْعُ - سَنَدْعُ - وَيَمْحُ
زيادة الألف بعد الهمزة	تفتأ - الملاء	تَفْتَأُوا - فَقَالَ الْمَلَأُوا
زيادة الياء	بأيكم - بأيد - تلقاء	بِأَيِّكُمْ - بِأَيْدٍ - تِلْقَاءِي
زيادة الواو	سأريكم - ولأصلبكم	سَأُورِيكُمْ - وَلَا أُصَلِّبُكُمْ

(1) ينظر في كل هذا: المقنع في مرسوم المصاحف بدءاً من: 15 وما بعدها، علم الدين السخاوي: الوسيلة إلى كشف أبيات العقيلة، تحقيق: مولاي محمد الإدريسي مكتبة الرشد، الرياض الطبعة الثالثة: 2005م (ص: 87) وما بعدها.

أهم مصادر الرسم العثماني:

اتجهت عناية السلف من علماء الأمة إلى البحث فيما يتعلق بعلم رسم المصاحف -رواية قبل عصر التدوين وكتابة بعده- وذلك من خلال أبواب ومباحث مبثوثة في كتب القراءات حيناً، وفي كتب مفردة في عصور لاحقة أحياناً أخرى، وهي في مجملها جمعت شتات هذا العلم، وتتبع مسائله وقضاياها، ونحن نعلم أنه لا يوجد كتاب حظي عبر تاريخ البشرية بمثل ما حظي به كتاب الله تعالى من الاهتمام والعناية: رسماً، وضبطاً، وأداءً، وفهماً واستنباطاً، وعند الحديث عن الرسم العثماني ينبغي التمييز بين أنواع ثلاثة من المصادر متداخلة فيما بينها:

المصدر الأول: المصاحف العثمانية أو المنقول عنها:

والمقصود هنا: الأصول التي استقى منها علماء الرسم مادتهم الأساسية بالنقل المباشر منها، أو بالرواية عن من عاينوا هذه المصاحف ونقلوا منها، وإذا كانت هذه الأصول لم يكتب لها الخلود والبقاء لتكون في متناول الباحث في أي وقت وفي كل عصر، فإن علماء الرسم المتقدمين كثيراً ما يصرحون برؤيتهم لهذه المصاحف والاستفادة منها.

فهذا أبو عبيد⁽¹⁾ القاسم بن سلام يشير في مواضع متعددة إلى رؤيته

(1) هو: أبو عبيد القاسم بن سلام الخرساني الأنصاري مولاهم البغدادي، الإمام الكبير، صاحب التصانيف الجليلة في القراءات والحديث والفقه واللغة والشعر، أخذ القراءة عرضاً وسمعاً عن علي بن حمزة الكسائي، وتوفي بمكة سنة 224هـ.
معرفة القراء الكبار (1/360)، غاية النهاية في طبقات القراء (2/17).

المصحف الإمام⁽¹⁾ الخاص بالخليفة عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَيَذُكُرُ وقوفه على الطريقة التي رسمت بها ألفاظ القرآن الكريم فيه، ومن أمثلة ذلك قول أبي عبيد فيما نقل عنه السخاوي: «رأيت في الإمام مصحف عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في البقرة: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الْأَذَىٰ هُوَ أَذَىٰ هُوَ خَيْرٌ لِّإِهْبَاطِهَا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءَ وَبَعْضٌ مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾⁽²⁾ بالألف»⁽³⁾ وهو المعنى الذي أشار إليه الشاطبي في رائيته قائلاً:

وفي الامام اهبطوا مصرا بها ألف

وقل وميكال فيها حذفها ظهر⁽⁴⁾

(1) عند جمع القرآن في عهد عثمان بن عفان في مصحف، كتبت خلاله عدد من النسخ احتفظ عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بنسخة وهي التي اصطلح على تسميتها بالمصحف الامام، وأرسل بقية النسخ إلى الأمصار: قيل عددها أربع أو خمس وقيل أكثر، من ذلك. ينظر: ابن أبي داود السجستاني: كتاب المصاحف، تحقيق محمد بن عبده، الفاروق للطباعة والنشر القاهرة، ط: 1، 2002 (ص: 133)، الإمام السخاوي: والوسيلة إلى كشف آيات العقيلة (ص: 74).

(2) البقرة: (60).

(3) ينظر الوسيلة: أبي عبيد: (101) نقلاً عن كتاب القراءات.

(4) الإمام الشاطبي: عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد البيت رقم (50).

ونقل أبو عبيد فيما روى عنه الداني بسنده: «رأيت في الإمام مصحف عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اسْتُخْرِجَ لي من بعض خزائن الأمراء⁽¹⁾ ورأيت فيه في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَاَدْخُلُوا الْأَبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ يَغْفِرَ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾⁽²⁾ بحرف واحد، والتي في سورة الأعراف: ﴿خَطَايَاكُمْ﴾⁽³⁾ بحرفين⁽⁴⁾.

ومن أمثلة هذه النصوص كذلك: قول خالد بن إياس بن صخر بن أبي الجهم⁽⁵⁾ فيما نقل عنه ابن أبي داود أنه: «قرأ في مصحف عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فوجد فيه ما يخالف مصاحف أهل المدينة اثني عشر حرفاً»⁽⁶⁾.
وإذا كان هذا شأن العلماء المتقدمين فإننا فيما بعد نجد الإمام عَلِمَ

(1) وهو المعنى الذي تضمنه كلام الشاطبي في قوله:

أبو عبيد أولو بعض الخزائن لي

استخرجوه فأبصرت الد ما أثرا

العقيلة البيت رقم (40).

(2) البقرة: (57).

(3) ونصها في الآية: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَاَدْخُلُوا الْأَبَابَ سُجَّدًا تَغْفِرَ لَكُمْ خَطِيئَتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: 161].

(4) المقنع في مرسوم مصاحف الأمصار (ص: 15)، والوسيلة (ص: 38).

(5) هو: أبو الهيثم خالد بن إياس ويقال: إياس بن صخر بن أبي الجهم بن عبيد بن حذيفة البغدادي العدوي المدني، روى عن ربيعة وسعيد المقبري وأبي الزناد ويحيى بن سعيد الانصاري وغيرهم، وروى عنه عيسى بن يونس وأبو نعيم والواقدي وغيرهم.
ميزان الاعتدال (1/627).

(6) أبي بكر بن أبي داود: المصاحف (ص: 146)

الدين السخاوي وهو من علماء القرنين السادس والسابع كثيراً ما يستشهد بما في مصحف لأهل الشام عتيق، يرجح أن يكون هو المصحف الذي أرسله عثمان إلى أهل الشام، وقد وصفه السخاوي في معرض حديثه عن صورة رسم إحدى الكلمات القرآنية الواردة فيه فقال: «كذلك رأيت في مصحف لأهل الشام عتيق يغلب على الظن أنه مصحف عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أو منقول منه، وهذا المصحف موجود بمدينة دمشق في مسجد بنواحي الموضوع المعروف بالكشك، وهم يزعمون أنه مصحف علي، وقد كشفته وتتبع الرسم الذي اختص به مصحف الشام فوجدته كله فيه»⁽¹⁾.

المصدر الثاني: أئمة الرسم قبل التدوين:

وقد اعتمد هؤلاء على مشاهدتهم ومعاينتهم للمصاحف العثمانية أو المنقولة عنها، وبالتالي فإنهم قد قاموا بنقل اختلاف المصاحف لمن بعدهم بدقة وأمانة لا سيما وأنهم المتصفون بالعدل، والثقة، والضبط، والاتقان لهذا العلم، وبرز في كل مصر من الأمصار الإسلامية أئمة قراءة صرفوا كل عنايتهم إلى رواية كيفية رسم الكلمات القرآنية في مصاحفهم، إلى جانب اهتمامهم بالأداء وأوجه القراءات القرآنية، ونذكر من بين الأئمة الذين روي عنهم الهجاء:

(أ) بالمدينة: نافع بن أبي رويم المدني (ت: 169هـ) وقد انتهت إليه رئاسة الإقراء بالمدينة، وعلى رواياته كان الاعتماد في ضبط بعض المصاحف

(1) الوسيلة إلى كشف العقيلة (ص: 131).

المتأخرة التي اعتمدت رسم المصحف العثماني، ونقل لنا عنه عدد من رواته منهم: ابن جماز⁽¹⁾ (ت: 170هـ) والغازي بن قيس الأندلسي (ت: 199هـ)⁽²⁾ وعيسى بن مينا الملقب بقالون (ت: 220هـ)⁽³⁾.

(ب) أما في الكوفة فقد برز في هجاء المصاحف قارئان مشهوران هما: حمزة من حبيب الزيات (ت: 156هـ) وعلي بن حمزة الكسائي (ت: 189هـ) وأشهر من نقل عنهما: خلف بن هشام (ت: 229هـ) ويحيى بن زياد الفراء (ت: 207هـ).

(ج) وفي البصرة اشتهر إمام القراء بها: أبو عمرو بن العلاء (ت: 154هـ) وممن روى عنه حروف رسم القرآن: يحيى بن المبارك اليزيدي (ت: 202هـ) وأيوب بن المتوكل (ت: 200هـ).

(د) وبالشام عبدالله بن عامر اليحصبي (ت: 118هـ) وروي عنه اختلاف مصاحف الشام والحجاز والعراق، وممن روى عنه: يحيى بن الحارث الذماري (ت: 145هـ).

(1) هو: رواية سليمان بن جماز عن أهل المدينة، تنظر: أبي بكر بن الأشعث السجستاني: في كتاب المصاحف، تحقيق: آرثر حفري، المكتبة الأزهرية، القاهرة، الأولى: 2007م، (ص: 41).

(2) رواية الغازي بن قيس تنظر في المقنع: (ص: 50) وما بعدها.

(3) رواية قالون عن نافع مبنوثة في كتاب المقنع: (ص: 11، 21: 22) وأماكن أخرى.

المصدر الثالث: أهم المصنفات في علم الرسم:

وهذه المصنفات كثيرة ومتنوعة وإن كان أغلبها لم يصل إلينا منه إلا الأسماء التي أثبتتها كتب التراجم، وسأشير هنا إلى بعض منها حسب التسلسل التاريخي:

[1] كتاب اختلاف مصاحف الشام والحجاز والعراق، لعبدالله ابن عامر الشامي اليحصبي (ت: 118هـ) ذكره ابن النديم.

[2] كتاب المقطوع والموصول في القرآن -عبدالله بن عامر- ابن النديم.

[3] كتاب في هجاء المصاحف ليحيى بن الحارث الذماري (ت: 145هـ) ذكره ابن النديم.

[4] كتاب مرسوم المصاحف لأبي عمرو زيان بن العلاء (ت: 154هـ) توجد نسخة خطية منه في أياصوفيا باستانبول.

[5] المقطوع والموصول في القرآن، لحمزة بن حبيب الزيات (ت: 156هـ) ذكره ابن النديم.

[6] كتاب مقطوع القرآن وموصوله، لعلي بن حمزة الكسائي (ت: 189هـ) ذكره الذهبي.

[7] كتاب هجاء السُّنَّة للغازي بين قيس الأندلسي (ت: 199هـ) ذكر في عدد من كتب التراجم، ونص اللبيب على مطالعته والاستفادة منه في مقدمة شرحه العقيلة.

[8] كتاب اختلاف أهل الكوفة والبصرة والشام في المصاحف ليحيى ابن زياد الفراء (207هـ) ابن النديم.

[9] كتاب القراءات، لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت: 224هـ) وهو وإن كان عنوانه لا يدل على أنه لا يعنى برسم المصحف إلا أن النصوص التي وردتنا منه عن طريق بعض المصنفات في الرسم كالمقنع، والوسيلة، وغيرها، تدل على أنه من أهم مصادر هذا العلم.

[10] كتاب في رسم المصاحف، لنصير بن يوسف النحوي (ت: 240هـ) وهو كتاب لم تشر المصادر إلى عنوانه، واكتفى الذهبي بقوله في ترجمة نصير: «كان من الأئمة الحذاق في رسم المصحف وله فيه مصنف كبير».

[11] كتاب رسم المصاحف، لأبي عبد الله محمد بن عيسى بن رزين الأصفهاني (ت: 253هـ) روى أغلب ما فيه عن نصير بن يوسف - توجد نسخة منه مخطوطة - بالإستانة برقم: 8812 كما يذكر ذلك محقق كتاب الوسيلة⁽¹⁾.

أشهر المؤلفات في علم الرسم القرآني:

منذ بداية عصر التدوين في منتصف القرن الثاني الهجري كان الاهتمام واضحاً بتدوين علوم القرآن، وتقعيد قواعدها، وقد كان القرآن الكريم هو الوثيقة الأولى التي دونت في الإسلام، يقول محمد قبيسي⁽²⁾: «ومن المدينة

(1) ينظر: السخاوي: الوسيلة إلى كشف العقيلة، تحقيق: مولاي الإدريسي (ص: 42).

(2) هو: محمد قبيسي، باحث عراقي معاصر له اهتمامات خاصة بحفظ المخطوطات وصيانتها وتجليدها واللمسات الفنية فيها، من مؤلفاته: (تدوين القرآن الكريم الوثيقة الأولى في الإسلام) انتهى من إعداده في المهجر، باريس، عام 1980م. ينظر: مقدمة هذا الكتاب (ص: 76).

المنورة خرجت أول مخطوطات عربية في التاريخ، متمثلة في تلك المصاحف التي بعث بها عثمان إلى الأمصار... إذا الكتاب الكريم أقدم وأوثق وثيقة عرفها الإنسان بدون تبديل أو تحريف»⁽¹⁾.

غير أن تدوين قواعد رسم القرآن الكريم والتصنيف فيها لم يبدأ إلا متأخراً، ولعل السبب يرجع إلى أن مصاحف عثمان التي وزعت على الأمصار قد أغنتهم عن الخوض في هذا المجال مبكراً، وقد نقلت إلينا كتب التراجم⁽²⁾ الكثير من المصنفات في هجاء المصاحف وقواعد رسمها وضبطها، سواء كانت على هيئة أبواب ضمن مؤلفات في علوم القرآن، أو تصنيفات متخصصة، وأغلب ذلك لم يصل إلينا منه إلا ما دون في كتب التراجم، ولعل أشهرها وصل إلينا من مصنفات في هذا المجال:

[1] المقنع في مرسوم مصاحف أهل الأمصار للإمام الحافظ أبي عمرو الداني المشهور في زمانه بابن الصيرفي (ت: 444هـ)، وقد اهتم به المستشرقون الفرنسيون والألمان، حيث نشر باللغة الفرنسية أول مرة عام 1838م وتولت جمعية المستشرقين الألمان نشره بالعربية عام 1932م إلى أن قام بتحقيقه محمد أحمد دحمان عام: 1940م وتولت دار الفكر بدمشق إخراج الطبعة

(1) محمد قبيسي: تدوين القرآن الكريم الوثيقة الأولى في الإسلام، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الأولى 1981م (ص: 8).

(2) سبقت الإشارة إلى بعض هذه المصنفات، ويمكن الرجوع إلى «كتب تراجم الرجال والكتب» للمزيد منها فقد حوتها: الذهبي: تذكرة الحفاظ، ابن الجزري: غاية النهاية، برو كلمان: وتاريخ الأدب العربي، فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربي، وغيرها كثير.

الثانية من هذا الكتاب ونشره لنفس المحقق عام 1983م⁽¹⁾.

[2] التبيين لهجاء التنزيل لأبي داود سليمان بن نجاح، مولى هشام المؤيد بالله وكان يسكن دانية، أخذ عن أبي عمرو الداني، وتوفى ببلنسية عام: 496هـ⁽²⁾.

[3] عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد، وهي المنظومة الرائية للإمام أبي القاسم محمد بن فيره الشاطبي الضرير (ت: 590هـ)، نظمها على البحر البسيط في ثمان وتسعين ومائتي بيت، وقد لخص فيها ما جمعه الداني في (المقنع) من روايات وما استنبطه من قواعد وأصول، وأضاف إليها ما وصله عن طريق النقلة، وهي مطبوعة ومتداولة بعدة شروح منها:

(أ) الوسيلة إلى شرح أبيات العقيلة لأبي الحسن علي بن محمد الهمداني السخاوي (ت: 614هـ)، وقد قام بتحقيقها في رسالة علمية بالمغرب: مولاي محمد الطاهر وطبعت بمكتبة الرشيد في طبعها الثانية عام 2003م.

(ب) الدررة الصقيلة في شرح أبيات العقيلة لأبي بكر بن عبد الغني المشهور بالليبي، وقد حققت في رسالة علمية أيضا بجامعة محمد الخامس بالمغرب خلال العام الجامعي 1991-1992م.

(1) حسن سري: ينظر: الرسم العثماني للمصحف الشريف مدخل ودراسة، مركز الإسكندرية للكتاب، الطبعة الأولى 2000م، (ص: 6-7).

(2) وهو: كتاب في تبيين هجاء مصاحف أمير المؤمنين عثمان وبقية المصاحف المجمع عليها، تم تحقيقه من قبل محققه أحمد شرشال، وطبع سنة: 1421هـ، بمجمع الملك فهد بالمدينة المنورة في خمس مجلدات.

(ج) تلخيص الفوائد وتقريب المتباعد في شرح عقيلة أتراب القصائد لابن القاصح (ت: 801هـ)، وهو شرح مبسط، ابتعد فيه عن التعقيد والغوص في باطن المعاني، وهو مطبوع متداول.

[4] مورد الظمان في رسم القرآن، لأبي عبدالله محمد إبراهيم الشريشي المشهور بالخرّاز⁽¹⁾ (ت: 718هـ) كان إماماً في الضبط والرسم، عارفاً بعلله، عالماً بأصوله وقواعده، والمنظومة اشتملت على (454) بيتاً، وبالرغم من تعدد مصنفات الخراز، فإن شهرته ترجع إلى هذا النظم الذي يقول فيه:

ووضع الناس عليه كتباً كل يبين عنه كيف كتباً

وقد تعددت الشروح والمصنفات والتعليقات حول هذا النظم، بعضها مطبوع والبعض الآخر لا يزال مخطوطاً ومنها:

(أ) التبيان في شرح مورد الظمان. لمحمد الصنهاجي المعروف بابن آجطا (ت: 750هـ) وقد حقق حديثاً في رسالة علمية بالمغرب.

(ب) شرح مورد الظمان، لعبد الله الصنهاجي تلميذ ابن بري المتوفى في منتصف القرن الثامن الهجري، وهو حسب علمي لا يزال مخطوطاً.

(1) هو: أبو عبدالله محمد إبراهيم الشريشي، المشهور بالخرّاز، عالم بالقراءات، أصله من شريش، له عدد من المؤلفات منها: التبيان في رسم القرآن، القصد النافع في شرح الدرر اللوامع، شرح على الحصرية، مورد الظمان في رسم القرآن، توفي سنة: 718هـ. ينظر: ترجمته في غاية النهاية (ص: 237)، ومعجم المؤلفين (3/617)، وشجرة النور الزكية (309/1).

(ج) فتح المنان على مورد الظمان، لمحمد عبد الواحد بن عاشر
(ت: 1040هـ).

(د) الخلاف والتشهير والاستحسان وما أغفله مورد الظمان لأبي زيد
ابن القاضي: (ت: 1082هـ).

(هـ) دليل الحيران على مورد الظمان لأبي إسحاق إبراهيم المرغني
المتوفى سنة 1349هـ⁽¹⁾.

(و) «تنبيه العطشان على مورد الظمان» لأبي الحسن الرجراجي دفين
أولاد أبو رحيل بالمغرب الأقصى في نهاية القرن التاسع الهجري، وهو من
أوسع شروح المورد، اعتمد فيه كثيرا على ابن آجطا الشارح، وناقشه في آرائه،
كما انتقد الخراز في مسائل من هذا الكتاب⁽²⁾.

(1) هو: إبراهيم بن أحمد بن سليمان المرغني المفتي المالكي بالديار التونسية، وشيخ القراء
بالجامع الأعظم «الزيتونة» من آثاره:
[1] دليل الحيران شرح مورد الظمان.
[2] النجوم الطوالع في أصل مقرأ الإمام نافع.
[3] بغية المرید إلى جوهرة التوحيد.
توفى سنة: 1349هـ.

ينظر: عبدالفتاح عجمي المرصفي: هداية القاري إلى تجويد كلام الباري قسم التراجم (2/
622).

(2) هو: أبو عبد الله حسين بن علي بن طلحة الرجراجي الشوشاوي، من آثاره:
[1] تنبيه العطشان على مورد الظمان، وقد حُقق المخطوط في رسالتين علميتين بجامعة
المرقب عام: 2005م.

[5] عنوان الدليل في مرسوم التنزيل، لأبي العباس المراكشي، المشهور بابن البناء (ت: 720هـ) وقد ضمنه توجيه ما خالف قواعد الخط في القرآن، وبين أن هذه الأحرف إنما اختلفت أحوالها في الخط بحسب اختلاف أحوال معانيها، وقد نقل عنه صاحب البرهان⁽¹⁾ الكثير من التعليقات التي حرص أن ينسبها دائماً لأهل الباطن⁽²⁾، وهو كتاب مطبوع متداول.

[2] شرحه تنقيح القرافي.

[3] نوازل الفقه المالكي.

[4] الفوائد الجميلة على الآيات الجليلة.

توفي سنة: 899هـ.

ينظر ترجمته في: رضا كحالة: معجم المؤلفين (3/254).

(1) هو: بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي، أخذ عن الشيخ جمال الدين الأسنوي، إمام أهل الحديث بالمدرسة الكاملية، كما أخذ عنه: إعلام الساجد بأحكام المساجد سراج الدين البلقيني وآخرون، له مؤلفات كثيرة في الفقه، والحديث، وعلوم القرآن، منها: أحكام المساجد، والبرهان في علوم القرآن، والبحر المحيط في أصول الفقه، توفي سنة: 794هـ.

ينظر: ابن حجر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (3/397).

(2) الإمام بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت الطبعة الثانية 1972م (1/376).

المبحث الثاني

الإمام الطبري وقضايا الرسم القرآني

علاقة الرسم بعلم التفسير:

ظهر الاهتمام بكتابة القرآن منذ نزوله على قلب محمد ﷺ، حيث لم يكتب الرسول بحفظه في الصدور، وإنما عزز ذلك بتدوينه في السطو، وقد حرص على تدوين الوحي بواسطة عدد من الكتبة الذين كلفهم بهذه المهمة، في مقدمتهم زيد بن ثابت، وأبي بن كعب، ومعاوية وغيرهم، ولم يلتحق المصطفى ﷺ بالرقيق الأعلى إلا والقرآن كله مدون في السطور إضافة إلى حفظه في الصدور.

وحين جمعت المصاحف في عهد عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وتوزعت في الأمصار، بدأ النساخ ينقلون عنها، فانتشرت وكثر الناقلون عنها في كل مصر، ولعل هذا أول علم دون في مجال علوم القرآن، فمن خلال الضوابط التي كتب بها المصحف الشريف بدأ التدوين لقواعد رسم المصحف، ومع بداية عصر التدوين دونت عدد من المصنفات في الرسم القرآني، وقد أشرنا فيما سبق إلى بعض منها، والعديد من كتب التفسير التي اهتمت ببيان الأحكام والمعاني لم تهمل الإشارة إلى ما يتعلق بعلم الرسم وقواعده، والضوابط التي أسست

لقواعد الرسم الاصطلاحي لأن العلاقة بين علم التفسير ورسم المصحف ثابتة لا يمكن فصلها، نظرا للعلاقة القائمة بين المبنى والمعنى.

فهذا تفسير ابن عطية رَحْمَةُ اللَّهِ الْمَسْمِيُّ: (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) قد ضمنه بابا سماه: «باب جمع القرآن وشكله ونقطه وتحزيبه وتعشيره»⁽¹⁾ أورد فيه ما يتعلق بكتابة القرآن وجمعه في صحف ثم في مصاحف، ثم مراحل ضبطه وشكله وأسباب ذلك، وتناول القرطبي في تفسيره المسمى: (الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمن من السُّنَّةِ وآي الفرقان) تناول ما يتعلق بكتابة المصاحف العثمانية وأسبابها، وخصص لذلك باباً تحت عنوان: (باب ذكر جمع القرآن وسبب جمع عثمان المصاحف وإحراقه ما سواها)⁽²⁾.

أما الإمام الطبري: (ت: 310هـ)⁽³⁾ فقد تناول الرسم العثماني من زوايا مختلفة وضمن تفسيره المسمى (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) قضايا

(1) ينظر: المحرر الوجيز (1/64).

وابن عطية هو: محمد عبد الحق غالب بن عطية، كان أبوه فقيها محدثا زاهدا، وصفه ابن خاقان بأنه «شيخ العلم»، قال ابن تيمية: «وتفسير ابن عطية خير من تفسير الزمخشري وأصح نقلاً وبحثاً..... بل لعله أرجح التفاسير» ت: 541هـ. بغية الوعاة (ص: 295).

(2) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (1/49)،

والقرطبي هو: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن فرح الأنصاري الأندلسي المفسر، من آثاره: الأسنى في أسماء الله الحسنى، والتذكار في أفضل الأذكار، وتفسيره من أجل التفاسير، (ت: 671هـ).

ابن فرحون: الديباج المذهب في معرفة أديان أهل المذهب.

(3) ينظر ترجمته في: الذهبي: سير أعلام النبلاء (14/267)، ومعرفة القراء الكبار (1/264).

الرسم وقواعده وأسسها، وهذا التفسير يعتبر وثيقة هامة في تأريخ علم الرسم وتطوره، وقد حفل بقدر زاخر من قواعد هذا الفن وأسسها، حيث غدت القواعد والأسس التي قررها الطبري أمراً مجمعاً عليه عند علماء الرسم القرآني، ليس في الخطوط الأساسية فقط، بل في كثير من التفاصيل الدقيقة التي تطرق إليها، ووظفها في تفسير الآيات القرآنية، أو في الترجيح بين أوجه التفسير، أو في رده لوجه ضعيف في القراءة أو التفسير أو اللغة.

والقارئ المتأني يتأكد له أن ما تضمنه تفسير الطبري من قواعد لا يعدو أن يكون أحد أمرين:

الأول: أن تكون مما نقله عما قبله من أهل التخصص الذين لم تصلنا كتبهم.

والثاني: أن تكون هذه القواعد من مخترعاته ومبتكراته.

وإذا كان المؤرخون لعلوم القرآن يذكرون أن ما ألف في علم الرسم القرآني قبل ابن جرير قد بلغ نحواً من خمسة عشر مؤلفاً، وهذه المؤلفات فقدت ولم يصلنا شيء منها، كما فقدت مؤلفات في الرسم القرآني بعد ابن جرير⁽¹⁾، وإذا كان المختصون في علم الرسم يعدون كتاب أبي عمرو الداني (ت: 444هـ) المسمى: (المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار) هو عمدة مؤلفات علم الرسم العثماني، وأقدم كتاب متخصص وصل إلينا في هذا

(1) ينظر: رسم المصحف وتاريخه دراسة لغوية تاريخية، غانم قدوري (ص: 69) وما بعدها.

العِلْمُ فإن الكثير مما ذكره الداني في (المقنع) قد سبقه إليه ابن جرير، ومن هنا يظهر بجلاء أن الطبري كان ذا باع طويل في إرساء قواعد الرسم القرآني، وهو حري بأن يُعرَف دوره في هذا المجال ويُعرَف به، ويعترف له بالفضل فيه.

التعريف بالطبري⁽¹⁾ ومنهجه في التفسير:

هو: أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن غالب الطبري، إمام، مقرر، محدث فقيه، أصولي، مؤرخ، من أكابر الأئمة المجتهدين، ولد في آمل بإقليم طبرستان نقل عنه أنه قال: «حفظت القرآن ولي سبع سنين، وصليت بالناس وأنا ابن ثماني سنين، وكتبت الحديث وأنا ابن تسع سنين».

رحل لطلب العِلْمِ وله عشرون سنة، وأكثر الترحال، ولقي نبلاء الرجال، قال الخطيب البغدادي (ت: 463هـ): «كان أحد الأئمة العلماء، يحكم بقوله، ويرجع إلى رأيه لمعرفة وفضله... وكان حافظاً لكتاب الله، عارفاً بالقراءات، فقيهاً في أحكام القرآن، بصيراً بالمعاني، عالماً بالسنن وطرقها..»⁽²⁾، وقال ابن خزيمة: «ما أعلم على أديم الأرض أعلم من محمد بن جرير»⁽³⁾.

(1) ينظر ترجمته في: ابن كثير: البداية والنهاية (11/145)، ابن الجزري: غاية النهاية (2/106-107).

(2) ينظر: تاريخ بغداد (2/163).

(3) ينظر: المصدر السابق.

آثاره العلمية:

أثمرت جهوده العلمية في إنتاج العديد من المصنفات في مختلف المجالات، منها: (تهذيب الآثار) و(تاريخ الأمم)، وكتاب (اختلاف العلماء)، وكتاب (أحكام شرائع الإسلام)، وفيه مذهبه الذي اختاره وجوده واحتج له، وكان أولاً شافعياً ثم انفرد بمذهب مستقل وأقاويل واختيارات، أما مصنفه في تفسير القرآن فيعد من أجَلِّ التفاسير؛ لأنه جمع فيه بين الرواية والدراية، قال ابن تيمية (ت: 728هـ): «وأما التفاسير التي بأيدي الناس فأصحها تفسير محمد ابن جرير الطبري، فإنه يذكر مقالات السلف بالأسانيد الثابتة، وليس فيه بدعة، ولا ينقل عن المتهمين كمقاتل بن بكير والكلبي»⁽¹⁾.

وذكر الذهبي أهمية تفسير ابن جرير بقوله: ونستطيع القول بأن تفسير ابن جرير هو التفسير الذي له الأولوية بين كتب التفسير: أولوية زمنية، وأولوية من ناحية الفن والصناعة، أما أولويته الزمنية فلأنه أقدم كتاب وصل إلينا، وما سبقه من المحاولات التفسيرية ذهبت بمرور الزمن، ولم يصل إلينا شيء منها، اللهم إلا ما ورد منها في ثنايا ذلك الكتاب الخالد.

ويضيف قائلاً: وأما أولويته من ناحية الفن والصناعة فذلك يرجع إلى ما يمتاز به من الطريقة البديعة التي سلكها مؤلفه حتى أخرج للناس كتاباً له قيمته ومكانته، ولهذا فلا يزال عمدة في التفسير، ومرجعاً مهماً من مراجع المفسرين على اختلاف مذاهبهم، وتعدد طرائقهم⁽²⁾.

(1) ينظر: سير أعلام النبلاء (14/270).

(2) التفسير والمفسرون (1/209-210).

مصادره:

الطابع المميز لتفسير الطبري اعتماده على المأثور عن النبي ﷺ وعلى آراء الصحابة والتابعين، ثم أضاف إلى المأثور ما عرف في عصره من نحو وشعر ثم رجع إلى القراءات، وتخير منها ورجح ما تخيره.

منهجه في التفسير:

لما كان اعتماده على التفسير بالمأثور هو الطابع المميز لذلك فقد سار في تفسيره وفق المنهج التالي:

[1] اتبع فيه طريقة الإسناد الدقيقة في سلاسل الروايات، لذا كان تفسيره سجلاً لما آثر من آراء، وغالبا ما كان يلخص الفكرة العامة ويعقب عليها بذكر الروايات التي تختلف في التفصيل والإيجاز.

[2] تجنب التفسير بالرأي وعقد فصلاً في المقدمة تعرض فيه لذكر بعض الأخبار التي رويت بالنهي عن القول بالتفسير بالرأي، والتزم هذا الأسلوب في كتابه.

[3] أكثر من ذكر الأحاديث النبوية، ويعود هذا إلى دراسته لعلم الحديث وإمامه بعلومه التي تلقفها عن كبار المحدثين في عصره⁽¹⁾.

[4] اهتم في تفسيره بعرض وجوه القراءات وما يتعلق بها أداء ورسماً وضبطاً حيث كان ضليعاً في علوم القراءات وفنونها، وإلى جانب ما دونه عنها في هذا التفسير فقد دون كتابه (الجامع) في القراءات القرآنية.

(1) ينظر: مقدمة تفسير الطبري (1/65).

[5] تمكنه من اللغة واهتمامه بها أتاح له إمكانية استخدامها في تحليل الألفاظ ومعاني الجمل، كما كان يستشهد بالشعر في بيان المراد من الكلمة، وكان يحتج بالمعروف من كلام العرب، ففي تفسير قوله تعالى: ﴿وَفَارَ التَّنُورُ﴾⁽¹⁾ أورد ما قيل فيها: إنه وجه الأرض، أو تنوير الصبح، أو أشرق الأرض، ثم قال:

«وأولى هذه الأقوال عندنا بتأويل قوله (التنور) قول من قال: هو التنور الذي يخبز فيه؛ لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب»⁽²⁾.

[6] انصرافه عما لا فائدة من ذكره والإسهاب فيه، من ذلك ما أورده عند تفسير قول الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَىٰ-ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يَنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾⁽³⁾ ونقل ما ورد عن المائدة هل هي سمك، أو خبز، أو ثمر من الجنة، ثم قال: «وغير نافع العلم به ولا ضار الجهل به إذا أقرتالي الآية بظاهر ما احتمله التنزيل»⁽⁴⁾، كما أنه عرض في تفسيره للآراء الفقهية، وآراء المتكلمين وهو يسميهم أهل الجدل.

أما الإدلاء برأيه بعد المناقشة فهي سمة ظاهرة في تفسيره، فقد كان يرجح ويدلل على ترجيحه، ويرفض أحيانا ويعلل لذلك، بالإضافة إلى أنه يؤيد

(1) هود: (40).

(2) ينظر: تفسير الطبري (38/12) وما بعدها.

(3) المائدة: (114).

(4) ينظر: تفسير الطبري (7/132-135).

أحيانا ويبرهن على تأييده، فهو كما يقول الذهبي: «جمع في تفسيره بين الدراية والرواية ولم يشاركه في ذلك أحد قبله ولا بعده»⁽¹⁾.

منهج الطبري في تناول الرسم القرآني:

سبق القول بأن تفسير الطبري يعد وثيقة هامة في التأريخ لعلم الرسم القرآني وتطوره، لذلك فإنه عند استعراضنا لجانب من تفسيره نجده قد اشتمل على عدد من قضايا الرسم القرآني وتضمنت في مجملها:

[1] قضايا تتعلق بتاريخ الرسم.

[2] وأخرى تتعلق بأصول الرسم.

[3] وثالثة تتعلق بكيفية رسم الكلمات القرآنية.

ففي الجانب الأول نلاحظ أن الطبري قد تحدث في مقدمة تفسيره عن الجمع الأول للقرآن الكريم في عهد أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكذا الجمع الثاني في عهد عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأفاض في تفصيلاتهما مشيراً إلى البواعث والأسباب التي أدت إلى الجمع في العهدين، وما لابس عملية النسخ هذه، والأحداث التي واكبتها، كما أشار إلى أدوات الكتابة التي كانت مستعملة في زمن النبي ﷺ والخلفاء من بعده، وحفل تفسيره بذكر عدد من المصاحف المنسوبة إلى بعض الصحابة منها:

(1) ينظر: طبقات المفسرين (ص: 30).

(أ) مصحف أبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: 19هـ) وقد ورد ذكره في التفسير

مرتين:

الأولى: عند تفسير قوله تعالى: ﴿لَكِنَّ الرِّسَخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾⁽¹⁾ حيث اختلف المفسرون والنحاة في إعراب لفظ المنصوب بين المرفوعات، وهذا الخلاف الإعرابي ترتب عليه اختلاف في تأويل المعنى في السياق، الأمر الذي أوصل بعضهم إلى القول بأن وقوعها منصوبة خطأ من الكاتب، والطبري يؤكد على صحة اللفظ منصوباً مستدلاً على ذلك بوجودها في مصحف أبي ابن كعب.

يقول الطبري: «فلو كان ذلك خطأ من الكاتب لكان الواجب أن يكون في كل المصاحف غير مصحفنا الذي كتبه لنا الكاتب الذي أخطأ في كتابته بخلاف ما هو في مصحفنا، وفي اتفاق مصحفنا ومصحف أبي ما يدل على أن الذي في مصحفنا من ذلك صواب غير خطأ»⁽²⁾.

الثانية: عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَذُوقُ فِيهِمْ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾⁽³⁾ أورد الإمام الطبري أن القراء اختلفوا في قراءة قوله:

(1) النساء: (161).

(2) تفسير الطبري (6/26-27).

(3) النور: (25).

(الْحَقُّ) فقرأه عامة قراء الأمصار: (دينهم الحق) نصباً على النعت للدين، ونقل عن جرير بن حازم، عن حميد عن مجاهد أنه قرأها (الْحَقُّ) بالرفع، وهي كذلك في مصحف أبي بن كعب ثم قال: «والصواب من القراءة في ذلك عندنا ما عليه قراء الأمصار وهو نصب (الْحَقُّ) على إتياعه إعراب الدين لإجماع الحجة عليه»⁽¹⁾.

[2] مصحف السيدة عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا (ت: 57هـ) وقد ورد ذكره في تفسير

الطبري مرتين:

الأولى: عند تفسير قول الله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾⁽²⁾ حيث روى بسنده عن حميدة ابنة أبي يونس مولاة عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: أوصت عائشة لنا بمتاعها فوجدت في مصحف عائشة: «وَهِيَ صَلَاةُ الْعَصْرِ».. وروى عن عروة بن الزبير (ت: 94هـ) أنها في مصحف عائشة كذلك⁽³⁾.

الثانية: عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنْشَاءً وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا﴾⁽⁴⁾ أورد عن سفيان عن أبي أسامة بسنده عن هشام ابن عروة عن أبيه قال: «كان في مصحف عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: ﴿أَوْثَانًا﴾»⁽⁵⁾.

(1) تفسير الطبري (106/18).

(2) البقرة: (236).

(3) ينظر تفسير الطبري (555/2).

(4) النساء: (116).

(5) تفسير الطبري (280/5).

وبالرغم من تناول الطبري في تفسيره لمصحف عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: 32هـ) نحوًا من عشرين مرة فإنه لم ينص مطلقًا على وجود مصحف ينسب إلى ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (ت: 68هـ) كما نص عليه غيره كابن أبي داود؛ لأن ابن عباس كان من صغار الصحابة، فإن كان له مصحف فهو منتسخ من مصاحف كبار الصحابة ولا ينسب له.

وعند حديثنا عن الجانب الثاني المتعلق بأصول الرسم وقواعده في تفسير الطبري ينبغي أن نشير إلى أن الطبري قد ضمن تفسيره قواعد عامة تتعلق برسم المصحف الشريف أفاد منها من جاء بعده ممن دونوا في الرسم وقواعده، فهو قد عالج بداية موضوع الرسم القرآني من حيث هو توقيفي أم اجتهادي، وهل ينبغي التزامه باعتبار أن الأمة أجمعت عليه، أو تجوز مخالفته، وما حدود مخالفة الرسم وفيه تتمثل؟

هذا جانب من علامات الاستفهام التي تناول الطبري الإجابة عنها في تفسيره، فهو يقرر بوضوح أن الرسم توقيفي، مقتديا في ذلك بما ورد على لسان الأئمة الأعلام مثل مالك، وأحمد وغيرهما، فقد نقل الداني (ت: 444هـ) أن إمام دار الهجرة مالك بن أنس (ت: 179هـ) سئل: «أرأيت من استكتب مصحفًا اليوم أترى أن يكتب على ما أحدث الناس من الهجاء اليوم، فقال: لا أرى ذلك، ولكن يكتب على الكتابة الأولى»، يقول الداني معقبًا: «ولا مخالف له في ذلك من علماء الأمة»⁽¹⁾؛ بل إن الإمام أحمد بن حنبل (ت: 241هـ) قال: «تحرم

(1) المقنع للداني (ص: 109).

مخالفة مصحف الإمام في واو أو ياء أو ألف أو غير ذلك»⁽¹⁾.

والطبري عند تفسير قول الله تعالى: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامَ مَسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾⁽²⁾ قال: «هذه قراءة كافة المسلمين وعلى خطوط مصاحفهم، وهي القراءة التي لا يجوز لأحد من أهل الإسلام خلافها..» ثم يضيف: «وأما قراءة من قرأ ذلك: (وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ) فقراءة لأهل الإسلام خلاف، وغير جائز لأحد من أهل الإسلام الاعتراض بالرأي على ما نقله المسلمون وراثته عن نبيهم ﷺ نقلًا ظاهرًا، قاطعًا للعدر؛ لأن ما جاءت به الحجة من الدين هو الحق الذي لا شك فيه أنه من عند الله، ولا يعترض على ما قد ثبت وقامت به الحجة أنه من عند الله بالأراء والظنون والأقوال الشاذة»⁽³⁾.

وإذا كان رسم المصاحف أمرًا مجمعًا عليه فإنه لا يجوز لأحد أن يزيد عليه، أو يحذف منه، أو يلحق به شيئًا وفق فتياً علماء الأمة وهو ما سار عليه ابن جرير في تفسيره، ومن ذلك قوله في سورة النساء: «وأما ما روي عن أبي ابن كعب وابن عباس من قراءتهما: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأَحَلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا

(1) الزركشي: البرهان (1/379).

(2) البقرة (183).

(3) تفسير الطبري (2/141).

بِأَمْوَالِكُمْ مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ
فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا تَرَضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا
حَكِيمًا⁽¹⁾ ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ «فقراءة بخلاف ما جاءت به مصاحف
المسلمين، وغير جائز لأحد أن يلحق في كتاب الله تعالى شيئاً لم يأت به الخبر
القاطع العذر عمّن لا يجوزُ خلافه»⁽²⁾.

وابن جرير قد حسم أمره من قضية كتابة القرآن الكريم بغير الرسم
العثماني، وأبدى موقفه الصارم من هذه المسألة مؤكداً أنه لا يجوز تغيير الرسم
العثماني.

ففي تفسيره للآية (46) من سورة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد أن ذكر قراءة من
قرأ: (وَإِنْ كَادَ مَكْرُهُمْ) قال: «وغير جائز عندنا القراءة كذلك؛ لأن مصاحفنا
بخلاف ذلك، وإنما خط مصاحفنا (وَإِنْ كَانَ) بالنون لا بالبدال، وإذا كانت
كذلك فغير جائز لأحد تغيير رسم مصاحف المسلمين»⁽³⁾.

(1) النساء: (24).

(2) تفسير الطبري (5/13) ونص الآية 24 سورة النساء: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ
أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأَحَلَّ لَكُمْ مِمَّا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُّحْصِنِينَ غَيْرَ
مُسْفِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا تَرَضَيْتُمْ بِهِ
مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

(3) تفسير الطبري (14/245) ونص الآية: ﴿فَلَا تَحْسِبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ
ذُو انْتِقَامٍ﴾ إبراهيم: (48).

أما الجانب المتعلق بكيفية رسم الكلمات القرآنية فإن الإمام الطبري يناقش هذه المسألة من حيث الضوابط التي وضعها علماء الأمة، والمتعلق بموافقة الرسم العثماني وهو الضابط الذي بات متفقاً عليه بين علماء المسلمين لقبول القراءة، يقول مكي بن أبي طالب القيسي (ت: 437هـ): «وإنما الأصل الذي يعتمد عليه في هذا أن ما صح سنده، واستقام وجهه في العربية، ووافق لفظه خط المصحف فهو من السبعة المنصوص عليه، ولو رواه سبعون ألفاً متفرقين أو مجتمعين»⁽¹⁾، ويؤكد هذه الضوابط المحقق ابن الجزري من علماء القرن التاسع (ت: 833هـ) فيقول: «كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً، وصح سندها فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها، ولا يحل إنكارها بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن... ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها: ضعيفة، أو شاذة، أو باطلة»⁽²⁾، وفي هذا السياق رد الطبري الكثير من القراءات وعدها شاذة لمخالفتها لما رسم في المصاحف العثمانية ومن ذلك قوله: «عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه كان يقرأ: (مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ) ولا أرى القراءة بها جائزة لإجماع الحجة من القراء على خلافها، وأنها خلاف لما في مصاحف المسلمين؛ وذلك أنه ليس في مصحف من مصاحف المسلمين في قوله: (أَمْرٍ) ياء، وإذا قرئت: (مِنْ كُلِّ أَمْرٍ) لحقتها همزة تصير في الخط ياء»⁽³⁾.

(1) الإبانة عن معاني القراءات وعللها (ص: 17).

(2) النشر في القراءات العشر (9/1).

(3) تفسير الطبري (255/15).

ويحكم الطبري كذلك برد قراءة من قرأ: (اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مِنَ الصَّادِقِينَ) بدلاً من (مَعَ الصَّادِقِينَ) في سورة التوبة، وحجته في ذلك: «أن رسوم المصاحف كلها مجمعة على: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ وهي القراءة التي لا أستجيز لأحد القراءة بخلافها»⁽¹⁾.

ويظهر كذلك أن الضابط الذي ذكره ابن الجزري: «ووافقت أحد المصاحف العثمانية» قد سبقه إليه ابن جرير فهو يقول في تفسير سورة غافر: «واختلفت القراء في قراءة قوله: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ وَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ وَأَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾»⁽²⁾ فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والشام والبصرة (وَأَنْ يُظْهِرَ....) بغير ألف؛ وكذلك ذلك في مصاحف أهل المدينة، وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة: (أَوْ أَنْ) بالألف، وكذلك ذلك في مصاحفهم: (يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ) بفتح الياء ورفع (الْفَسَادُ) والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان مشهورتان في قراءة الأمصار متقاربتا المعنى»⁽³⁾.

أما القيد الذي أشار إليه علماء القراءات وعلماء الرسم وهو: «موافقة أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً»، فمعناه أن القراءة توافق الرسم ولو تقديرًا، حيث خولف صريح الرسم في مواضع إجماعًا نحو: (السَّمَوَاتِ)،

(1) تفسير الطبري (64/11). ونص الآية ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِتَّقْوَى اللَّهِ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ التوبة: (120).

(2) غافر: (26).

(3) تفسير الطبري (24-56)، وقد تعددت القراءات في الآية. ينظر: عبد الفتاح القاضي: الدور الزاهرة (ص: 277).

الصَّلِحَتِ، الرَّبَّوَا) وقد توافق بعض القراءات الرسم تحقيقًا، ويوافقه بعضها تقديرًا نحو: (مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ) فإنه كتب بغير ألف في جميع المصاحف، فقراءة الحذف محتملة تحقيقًا كما كتب (مَلِكِ النَّاسِ)، وقراءة الألف محتملة تقديرًا كما كتب (مَالِكِ الْمَلِكِ) فتكون الألف حذفت اختصارًا⁽¹⁾.

يتضح جليًا - مما تقدم - أن الإمام الطبري لم يكن يتطرق إلى القواعد الرئيسية في الرسم فحسب، بل إنه كان يشير إلى التفاصيل الدقيقة في كثير من الأحيان، ويظهر أيضًا أن الأسس والضوابط التي اعتمدها وسار عليها في تفسيره كانت أساسًا لقواعد هذا العلم فيما بعد، وإذا كان من شروط قبول القراءة موافقتها للرسم العثماني فإن مجرد توافر هذا الشرط في قراءة ما لا يكفي للحكم بأنها صحيحة، فلربما وافقت القراءة الرسم وهي مع ذلك شاذة. ومن المواضع التي نبه عليها الطبري في تفسيره بهذا الخصوص، ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَّنَا عَلَيَّ قَلْبُهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾⁽²⁾ يقول: «وقد ذُكِرَ عن فضالة ابن عبيد (ت: 58هـ) أنه كان يقرؤه: ﴿فَارِعَا﴾ من الفرع»⁽³⁾، وهي قراءة شاذة وإن كانت موافقة للرسم العثماني قبل النقط. وكلام ابن جرير في هذا الشأن

(1) ينظر: النشر (11/1).

(2) القصص: (10).

(3) قرأ فضالة بن عبيد، والحسن، ويزيد بن قطب وأبو زرعة بن عمرو بن جرير: (فَرِعَا) بالزاي والعين المهملة من الفرع وهو الخوف والقلق.
ينظر: ابن عطية: المحرر الوجيز (278/4).

يعتبر قاعدة في أصول الرسم القرآني، ذكرها عديد من علماء هذا الفن الذين جاؤوا من بعده، من ذلك ما يذكره مكّي بن أبي طالب (ت: 439هـ) في الإبانة حين يقول:

«إن الرواة عن الأئمة من القراء في العصر الثاني والثالث كانوا كثيراً في العدد كثيراً في الاختلاف، فأراد الناس في العصر الرابع أن يقتصروا من هذه القراءات التي توافق المصحف»⁽¹⁾، وجاء عنه في موضع آخر: «وكان المصحف إذا كتبه لم ينقطوه، ولم يضبطوا إعرابه، فيمكن لأهل كل مصر أن يقرؤوا الخط في قراءتهم التي كانوا عليها مما لا يخالف صورة الخط، فقرأ قوم ﴿يَقْضُ الْحَقُّ﴾⁽²⁾ بالصاد على ما كانوا عليه، وقرأ قوم ﴿يَقْضُ الْحَقُّ﴾⁽³⁾ بالضاد على ما كانوا عليه، وكذا ما أشبه هذا لم يخرج أحد في قراءته عن صورة خط المصحف»⁽⁴⁾.

مصطلحات الرسم في تفسير الطبري:

الدارسون لعلم الرسم والمهتمون بقواعده من خلال الكتب المصنفة في هذا المجال يجدون عدداً من المصطلحات العلمية التي تتناولها هذه

(1) الإبانة عن معاني القراءات (ص: 63).

(2) الأنعام (57).

(3) قرأ المدنيان والمكي وعاصم بالصاد المهملة المشددة المرفوعة، وقرأ غيرهم بقاف ساكنة وضاد معجمة مكسورة.

ينظر: القاضي: البدور الزاهرة (ص: 103).

(4) الإبانة (ص: 51-52).

المصنفات ومنها: (الرسم العثماني) نسبة إلى عثمان بن عفان الذي جمع المصاحف ووزعها على الأمصار، و(الرسم القرآني) تمييزاً له عن الرسم الإملائي، و(رسم مصاحف الأمصار)، و(رسم المصحف الإمام)... الخ، وبما أن تفسير ابن جرير قد جاء حافلاً بقضايا الرسم فلا بد أن يكون تعبيره عن هذه القضايا بمصطلحات دلالية، بعض هذه المصطلحات لا يزال متداولاً في مجال علم الرسم، ومصطلحات أخرى عفا عليها الزمن.

ومن خلال البحث في ثنايا تفسيره يتضح أنه لم يستعمل مسمى (الرسم العثماني) الذي يبدو من خلال الاستقراء التاريخي أنه ظهر استعماله في كتب الرسم بعد عصر ابن جرير في وقت متأخر نسبياً⁽¹⁾، وإنما كانت لابن جرير مصطلحات تحمل الدلالة ذاتها مثل: (مصاحف المسلمين) وهو التعبير الأكثر استعمالاً عنده يأتي بعده مصطلح (خط المصحف) و (رسم المصحف) و(مصاحف الأمصار) بل إنه كان يسمي أغلب المصاحف التي أرسلت إلى الأمصار كالمديني، والشامي والإمام، فهو عند تفسير قول الله: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ﴾⁽²⁾ يقول:

«واختلف القراء في قراءته، فقرأته عامة قراء المدينة والشام (مَا تَشْتَهِيهِ) بزيادة هاء، وكذلك هو في مصاحفهم، وقرأ عامة قراء العراق: (تَشْتَهِي) بغير هاء⁽³⁾»

(1) ينظر: رسم المصحف دراسة تاريخية (ص: 155-156).

(2) الزخرف: (71).

(3) قرأ المدنيان والشامي وحفص بزيادة هاء الضمير مذكراً بعد الياء والباقون بحذفها.

ينظر: عبد الفتاح القاضي: البدور الزاهرة (ص: 289).

وكذلك هي في مصاحفهم»⁽¹⁾ وعلى هذا المنوال ما رواه بسنده عن أبي بن كعب أنه قرأ: ﴿وَمَنْ يُّهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾⁽²⁾ بحذف كلمة ﴿﴾ قال بكر بن شروذ -أحد رواته- وهي في «الإمام» مصحف عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وهذا المصطلح لا يزال مستعملًا في كتب الرسم⁽³⁾، إلا أن الطبري مع ذلك استعمل مصطلحًا كان متداولًا في الكتب القديمة وهو مصطلح (مصاحف أهل المشرق) حيث استعمله الطبري في تفسيره مرتين في سورة المائدة:

الأولى: عند تفسير قول الله تعالى: ﴿يَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَهْلَؤَلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَسِرِينَ﴾⁽⁴⁾ قال: «وقراءتنا التي نحن عليها: (ويقول) بإثبات الواو في (ويقول) لأنها كذلك هي في مصاحفنا، مصاحف أهل المشرق بالواو و برفع يقول على الابتداء»⁽⁵⁾.

والثانية: عند تفسير قول الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ

(1) ينظر: تفسير الطبري (97/25).

(2) النساء: (100).

(3) ينظر: تفسير الطبري (244/5).

(4) المائدة: (55).

(5) تفسير الطبري (281/6).

يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلِيمٌ⁽¹⁾ قال: «والقراءة في ذلك عندنا على ما هو به في مصاحفنا ومصاحف أهل المشرق بدال واحدة مشددة بترك إظهار التضعيف، وبفتح الدال»⁽²⁾.

مآخذ على ابن جرير تتعلق بالرسم العثماني:

من خلال تناول الطبري - في تفسيره - لجملة من القضايا الأساسية والفرعية المتعلقة بجوانب الرسم القرآني تبين مدى إلمامه بهذا الفن، وإحاطته بقواعده المتعددة، لكن مع كل ذلك يظل ابن جرير رَحْمَةُ اللَّهِ بَشْرًا يخطئ ويصيب، وقد سجلت عليه بعض المآخذ فيما يتصل بفن الرسم بعضها خالف فيها ما قرره هو نفسه في مواضع من تفسيره، من بين هذه الهنات:

[1] ترجيح بعض القراءات المتواترة على بعض اعتمادا على الرسم، من ذلك ما أورده عند تفسير قول الله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾⁽³⁾ قال رَحْمَةُ اللَّهِ بَعْدَ أَنْ أُورِدَ الْقَرَاءَتَيْنِ فِيهَا بِالضَّادِ وَالظَّاءِ⁽⁴⁾ قال: «وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب ما عليه خطوط مصاحف المسلمين متفقة⁽⁵⁾، وإن

(1) المائة: (56).

(2) تفسير الطبري (286/6).

(3) التكوير: (24).

(4) قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي، ورويس، بالظاء، وقرأ الباقر بالضاد.

أحمد البنا: إتحاف فضلاء البشر (592/2).

(5) قال الداني: «ورسموا بضنين في التكوير بالضاد، وقال أبو حاتم: هو في مصحف عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كَذَلِكَ».

اختلفت قراءتهم به وذلك (بِضْنِينِ) بالضاد؛ لأن ذلك كذلك كله في خطوطها»⁽¹⁾.

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿لَا يَزَالُ بُنِينَهُمْ الَّذِينَ بَنَوْا رَبِّهٖ فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾⁽²⁾ رد قراءة يعقوب الحضرمي (ت: 205هـ) (إِلَى أَنْ تَقَطَّعَ) بتخفيف اللام على أنها حرف جر، قال الطبري: «وأما قراءة ذلك فقراءة لمصاحف المسلمين مخالفة، ولا أرى القراءة بما في خلاف مصاحفهم جائزة»⁽³⁾.

[2] رده لبعض القراءات المتوترة مع موافقتها الصريحة للرسم العثماني، ومن أمثلة ذلك ما أورده عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾⁽⁴⁾ حيث ذكر أن (الظنوناً) و (الرُسولاً) و (السَّيلاً) في كل مصاحف المسلمين بإثبات الألف في هذه الأحرف كلها، ثم قال ما نصّه: «وأولى القراءات في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأ بحذف الألف في الوصل

المقنع في مرسوم المصاحف (ص: 92).

(1) تفسير الطبري (116/30).

(2) التوبة: (111)، قرأ يعقوب بتخفيف إلا على أنها حرف جر، والباقون بتشديدها على أنها اذاعة استثناء.

ينظر: البدور الزاهرة (ص: 138).

(3) تفسير الطبري (35/11).

(4) الأحزاب: (10).

والوقف⁽¹⁾؛ لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب، مع شهرة القراءة بذلك في قراء المِصْرَيْنِ: الكوفة والبصرة، ثم القراءة بإثبات الألف فيهن في حالة الوصل والوقف، لأن علة من أثبت ذلك في حال الوقف أنه كذلك في خطوط مصاحف المسلمين، فالواجب أن تكون القراءة في كل الأحوال ثابتة؛ لأنه مثبت في مصاحفهم، وغير جائز أن تكون العلة التي توجب قراءة ذلك على وجه من الوجوه في بعض الأحوال موجودة في حال أخرى والقراءة مختلفة⁽²⁾.

[3] إهماله للمواضع التي بها مخالفة صريحة للرسم وذلك بترك التعقيب عليها أو تصويبها، وهي مواضع متعددة حفل بها تفسيره، وكان المؤمل منه التنبيه على مخالفتها لمرسوم المصاحف، ومن أمثلة ذلك:

عند تفسيره قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَعُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عِزِّي الدَّارِ﴾⁽³⁾ ذكر أن علياً رضي الله عنه كان يقرأ: (أَفَلَمْ يَتَّبِعِ الَّذِينَ آمَنُوا) وهذه القراءة خارجة عن رسم جميع مصاحف المسلمين، بالإضافة إلى أن السند الذي روى به ذلك الأثر ضعيف لا تقوم به حجة⁽⁴⁾، وعند تفسير قوله عز وجل: ﴿فَإِنْ

(1) قرأ المدنيان والشامي وشعبة بإثبات الألف بعد النون واللام وصللاً ووقفاً، وقرأ حمزة والبصريان بحذف الألف في الحالين، والباقون بحذفها وصللاً وإثباتها وقفاً.

البدور الزاهرة (ص: 252).

(2) تفسير الطبري (132/21).

(3) الرعد: (32).

(4) تفسير الطبري (154/13).

لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ إِرْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ⁽¹⁾ ذكر أن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كان يقرأها: (حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا) وأنه كان يقرأها على قراءة أَبِي بن كعب، وأن كتابتها: (تَسْتَأْنِسُوا) خطأ من كتاب المصاحف، وأنها في مصحف ابن مسعود (حَتَّى تَسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا وَتَسْتَأْذِنُوا)⁽²⁾ وهذه أيضا لم يعقب عليها ابن جرير، وكان حريا به أن يتصدى لما نسب لابن عباس وأَبِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فبالإضافة إلى أن في هذا مخالفة واضحة للرسم العثماني، وفيها كذلك اتهام خطير لكتاب المصاحف أنهم أخطؤوا في كتابتها، وهو اتهام من شأنه أن يهدم الثقة، ويزرع الشك بجميع مصاحف المسلمين، والطبري سكت عن هذا ولم يعقب عليه، في الوقت الذي نجده في مواطن أخرى -وردت في التفسير- كان يستدل بالرسم على بطلان القراءة وهي دون هذا في التأثير.

[4] إيراد بعض الروايات في المصاحف الخاصة المنسوبة لبعض الصحابة والتي لا تستقيم مع الحقائق العلمية أو التاريخية، وفي هذا المقام نكتفي بإيراد مثالين ذكرهما الطبري في تفسيره: الأول عند تفسير قوله عَزَّجَلَّ: ﴿يَوْمَ يَدْعُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾⁽³⁾ حيث ذكر الطبري بسنده عن جرير بن حازم: (ت: 170هـ) أنه قرأها في مصحف أَبِي

(1) النور: (27).

(2) تفسير الطبري (18/109-110).

(3) النور: (25).

ابن كعب: (يُوفِيهِمُ اللَّهُ الْحَقَّ دِينَهُمْ) (1) وهذه الرواية التي نقلها جرير فيها نظر لأن جريرا ولد عام: (90هـ) (2) وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جمع المصاحف عام: (25هـ) فكيف يعقل أن يكون جرير بن حازم قد قرأها فيه وأبى كان ممن التزم وحرق مصحفه؟. الثاني عند تفسير قوله تعالى: (فَتَبَيَّنُوا) (3) قال: «واختلفت القراء في قراءة قوله: (فَتَبَيَّنُوا) فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة: (فتثبتوا) بالثاء (4) وذكر أنها في مصحف عبد الله منقوطة بالثاء، وقرأ ذلك بعض القراء: (فتبينوا) بالباء (5)، وما أورده ابن جرير هنا لا يستقيم مع الواقع التاريخي الذي ذكره العلماء حول النقط والشكل الذي استحدث في المصحف الشريف، لأن المصاحف التي جمعت في عهد عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم تكن معجمة، وأول محاولة لأعجام المصاحف كانت في أواخر القرن الهجري الأول تقريباً (6) فكيف يكون مصحف عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: 32هـ) منقوطة، والنقط قد وقع بعده بسنين عديدة؟»

- (1) تفسير الطبري (106/18).
- (2) تهذيب التهذيب (61/2).
- (3) الحجرات: (6).
- (4) قرأ حمزة والكسائي وخلف بقاء مثلثة فوقية مفتوحة بعد التاء المشناة من الثبت، وغيرهم فتبينوا من البيان.
- ينظر: البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة (ص: 298).
- (5) تفسير ابن جرير الطبري (123/26).
- (6) أول من وضع نقط المصحف أبو الأسود الدؤلي (ت: 69هـ)، أو أحد تلميذيه: نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر وكانت وفاتهما عام 90هـ.
- ينظر: المحكم في نقط المصاحف للداني (ص: 31).

ألم يكن الأجدد بابن جرير وقد ذكر هذه الروايات أن يوضح ما فيها من إشكال في النقل، أو ضعف في الرواية، أو يعرض عن إيرادها أصلاً؟
المنصفون من أهل العلم يقولون: إذا كان هناك من عذر يلتمس لابن جرير في هذا فهو كونه قد صدر هذه الرواية بقوله: «وَذُكِرَ» وذلك يومئذ إلى تضعيفها.

الخاصة

بعد هذه الرحلة التي قصدنا من ورائها البحث في قضايا الرسم القرآني وقواعده وفق ما تضمنتها كتب التخصص في هذا الفن والعودة بأصول ذلك إلى ما تناولته كتب التفسير التي سبقت في تأليفها تصنيف كتب الرسم المتداولة، أقول: بعد هذا كله لعلنا نخلص إلى النتائج التالية:

[1] رغم تعدد علوم القرآن وتنوعها فإن علم التفسير يعد أم هذه العلوم، وأقدم التفاسير التي وصلتنا متكاملة كان لابن جرير الطبري المتوفى عام: 310هـ.

[2] أول علم صنف في علوم القرآن هو علم الرسم القرآني الذي وضعت أسسه وقواعده عند جمع القرآن في خلافة عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وهي الضوابط التي تحولت فيما بعد إلى مصنفات ذات تخصص في هذا الفن.

[3] نظراً لما يمتاز به الرسم القرآني عن الرسم القياسي فقد اتجه كثير من العلماء إلى دراسة هذا النوع من المعارف القرآنية، وألوهها اهتماماً بالغاً، فاستنبطوا مبادئ الرسم القرآني وحصرها المخالفات في سبعة أمور.

[4] أهم المصادر التي استقى منها العلماء قواعد الرسم هي المصاحف العثمانية أو المنقول عنها.

[5] يعد تفسير ابن جرير وثيقة مهمة في التأريخ لعلم الرسم القرآني وتطوره، وما تضمنه هذا التفسير من ضوابط كان أساسا اعتمد عليه الذين أتوا من بعده.

[6] كان من منهجية الطبري في تفسيره توظيف الرسم في مجالات متعددة كالترجيح بين آراء المفسرين، وأوجه القراءات، وأوجه الإعراب.

قائمة المراجع

- القرآن الكريم برواية قالون، مصحف سوريا.
- امكي بن أبي طالب القيسي:
- الإبانة عن وجوه القراءات، تحقيق: محي الدين رمضان، دار المأمون للتراث، الطبعة الأولى، 1979م.
- ابن أبي شامة:
- إبراز المعاني، مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.
- أحمد البنا:
- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، تحقيق شعبان إسماعيل، عالم الكتب بيروت، الطبعة الثانية، 2007م.
- عبد الفتاح القاضي:
- البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الثانية، 2009م.
- الزركشي:
- البرهان في علوم القرآن، دار المعرفة بيروت، الطبعة الثانية، 1972م.
- ابن كثير الدمشقي:
- البداية والنهاية، مكتبة المصارف، بيروت، 1966م.

■ السيوطي:

- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، مصطفى البابي الحلبي،
مصر، الطبعة الأولى، 964م.

■ فؤاد سزكين:

- تاريخ التراث العربي، نقله إلى العربية: فهمي أبو الفضل، الهيئة
المصرية العامة للتأليف والنشر.

■ الخطيب البغدادي:

- تاريخ بغداد، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

■ محمد الطاهر الكردي:

- تاريخ الخط العربي، مكتبة الهلال، 1949م.

■ زيدان سلامة:

- تاريخ المصحف فن ضبطه ورسمه، المكتبة الوطنية، 1998م.

■ محمد قبيسي:

- تدوين القرآن الكريم الوثيقة الأولى في الإسلام، دار الآفاق الجديدة،
بيروت، الطبعة الأولى، 1981م.

■ أبو داود سليمان بن نجاح:

- التبيين لهجاء التنزيل، تحقيق: أحمد شرشال، مجمع الملك فهد،
المدينة المنورة.

■ أبو الحسن الرجراجي:

- تنبيه العطشان على مورد الظمان، رسالة علمية، جامعة المرقب،
تحقيق: محمد حرشة ورجب أبودقاقة.

■ محمد الذهبي:

- التفسير والمفسرون.

■ ابن حجر العسقلاني:

- تهذيب التهذيب، دار الفكر بيروت، الطبعة الأولى، 1989م.

■ القرطبي الأندلسي:

- الجامع لأحكام القرآن توزيع دار المعرفة، الدار البيضاء.

■ ابن دريد:

- جمهرة اللغة، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية،
بيروت.

■ ابن جرير الطبري:

- جامع البيان في تأويل آي القرآن، دار الفكر بيروت، 1988م.

■ إبراهيم المرغني:

- دليل الحيران بشرح مورد الظمان، مكتبة الكليات الأزهرية.

■ ابن السكيت:

- ديوان الحطيئة، شرح ابن السكيت، تحقيق: مفيد قميحة، دار الكتب
العلمية.

■ ابن حجر:

- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار الجيل بيروت، 1993م.

■ ابن فرحون:

- الديباج المذهب في أعيان المذهب، تحقيق: مأمون الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1996م.

■ غانم قدوري:

- رسم المصحف وتاريخه دراسة لغوية تاريخية، دار عمار الأردن، الطبعة الأولى، 2004م.

■ حسن سري:

- الرسم العثماني للمصحف، الإسكندرية للكتاب، الطبعة الأولى، 2000م.

■ عبد العزيز السيروان:

- طبقات الحفاظ والمفسرين، عالم الكتب، الطبعة الأولى، 1984م.

■ ابن درستويه:

- كتاب الكتاب، دار عمار الأردن، الطبعة الأولى، 1992م.

■ السجستاني:

- كتاب المصاحف، دار الفاروق، الطبعة الأولى، 2002م.

■ أبي البقاء أيوب الكفوي:

- الكليات، تحقيق: عدنان درويش.

■ ابن منظور:

- لسان العرب، دار صادر بيروت، الطبعة الثالثة، 1994م.

■ أبو عمرو الداني:

المحكم في نقط المصاحف، دار الفكر بيروت، الثانية: 1997م.

■ ابن عطية الغرناطي:

- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق أحمد الملاح.

■ الذهبي:

- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، دار الكتب العلمية،

1997م.

■ عمر رضا كحالة:

- معجم المؤلفين، دار إحياء التراث، بيروت.

■ أبو عمرو الداني:

- المقنع في مرسوم مصاحف الأمصار، تحقيق: محمد أحمد دهمان،

مكتبة النجاح، طرابلس، ليبيا.

■ عبد الرحمن بن خلدون:

- المقدمة، تحقيق: حجر العاصي، مكتبة الهلال، 1983م.

■ عبد العظيم الزرقاني:

- مناهل العرفان في علوم القرآن، مصطفى البابي الحلبي.

■ الملا علي القاري:

- المنح الفكرية، مطابع ألف، با، دمشق، 1980م.

■ الذهبي:

- ميزان الاعتدال، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1963م.

■ محمد بن الجزري:

- النشر في القراءات العشر، دار الكتب العلمية، بيروت.

■ السخاوي:

- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، مكتبة دار الحياة بيروت.

■ الجمحي:

- طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود شاكر، دار الكتب العلمية

بيروت.

■ أبو القاسم الشاطبي:

- عقيلة أتراب القصائد، الحلبي، الطبعة الأولى، 1949م.

■ ابن الجزري:

- غاية النهاية في طبقات القراء، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى،

1932م.

■ الفيروز آبادي:

- القاموس المحيط، أبو طاهر محمد بن يعقوب، مصطفى الحلبي.

■ الضباع:

- سمير الطالبين في الضبط والرسم، مطبعة أحمد حنفي القاهرة.

■ محمد الذهبي:

- سير أعلام النبلاء، تحقيق محمد الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة.

■ الرضي:

- شرح شافية ابن الحاجب، دار الكتب العلمية بيروت، 1987م.

■ محمد مخلوف:

- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المكتبة العلمية، 2003م.

■ ابن قتيبة الدينوري:

- الشعر والشعراء، الدار العربية للكتاب، الطبعة الثانية، 1983م.

■ السخاوي:

- الوسيلة إلى كشف العقيلة، تحقيق: مولاي الإدريسي، مكتبة الرشد.

■ المرصفي:

- هدية القاري، مكتبة الفجر الإسلامية، المدينة المنورة، 1426هـ.

■ ابن خلكان:

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، دار صادر، بيروت.